ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

التطور التاريخي للصهيونية، من معتقد ديني إلى مشروع سياسي.

The Historical Development Of Zionism, From Religious Belief To Political Enterprise

صص 176- 197

قادة دين
DINE KADA
طالب دكتوراه، تاريخ معاصر
جامعة أبو القاسم سعد الله -الجزائر 2- (الجزائر)
eldine.kd@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2018/06/25، تاريخ المراجعة: 2018/07/16، تاريخ القبول: 2018/09/16.

الملخص: تشير أغلب المصادر التي تناولت تاريخ اليهود، أن الصهيونية ظهرت بداية كشعور جماعي، نتج عن الحنين لمدينة أورشليم، بسبب عملية التهجير التي فرضها الأسر البابلي على جموع اليهود، وفي تلك المنافي ولد ذلك التعلق بالمدينة المقدسة وربوعها، وأصبح جبل صهيون هو الرمز المعنوي لذلك الارتباط وذلك الأمل بالعودة في يوم من الأيام. وخلال حقبة الأسر، وجد كثير من التراث الذي ينسب لأنبياء عاصروا الفترة، مثل دانيال وأشعيا وحزقيال وزكريا، كله يرسخ فكرة العودة والتعلق بأرض الميعاد وجبل صهيون، وفي هاته الظروف ولدت فكرة المشيحانية التي تقوم على مجيء المسيح المخلص الذي سيعيد اليهود إلى فلسطين، ويخلصهم مما هم فيه من اضطهاد وهوان، وعاش اليهود تلك القرون على هذه النبوءة الأسطورة، التي انتهت بعودتهم على يد الإمبراطور الفارسي قورش الكبير. وخلال فترة الشتات الثاني إبان الحقبة الرومانية بعثت الأسطورة من جديد، وتم اقتباس النبوءة البابلية القديمة، ودخل اليهود من جديد في طور انتظار المخلص الذي سيعيدهم لأرض صهيون، واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر، حيث ظهرت بين اليهود أصوات تدعو لتجسيد الحلم الصهيوني، لكن ليس بالاتكال وانتظار المشيئة الإلهية، بل بإيجاد الوسائل المناسبة اعتمادا على الذات وعلى قدرة اليهود الداخلية. وانتهت تلك الحركة التي قادها مجموعة مفكرين وناشطين سياسيين يهود بتحول الأسطورة إلى مشروع والشعور إلى تنظيم، والنبوءة الدينية إلى حركة عالمية، وضعت الخطط والأسس

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

والوسائل من أجل تنفيذ الوعد الإلهي المزعوم بإعادة اليهود إلى أرض الميعاد، إلى أرض صهيون.

الكلمات المفتاحية: الصهيونية؛ تاريخ؛ الأسطورة؛ الحركة؛ النبوءة الدينية؛ المسيح؛ المنقذ؛ أسر البابيلونيين؛ الإمبراطور سيريوس؛ العهد الرُوماني؛ أرض الصّهاينة؛ المدينة المقدّسة؛ جبل الصّهاينة؛ الرُسل؛ المنضّمات؛ النُبوءة؛ القرن التّاسع عشر؛ دانيال؛ أيزياه؛ إيزيكل؛ زكريّة.

Abstract: Most sources, which dealt with the history of the Jews, indicate that the Zionism first emerged as a collective feeling, because of nostalgia for the city of Jerusalem, which resulted from the displacement imposed by the Babylonian captivity on the Jewish masses. In those exiles, the attachment was made to the Holy City and its surronudings. Mount Zion became the moral symbol of that connection and the hope of every Zionist' returning to that blessed place one day. During the captivity era, many of the heritages that were attributed to the prophets were found in the periods of Daniel, Isaiah, Ezekiel, and Zechariah. All stuck to the idea of return and attachment to the Promised Land and Mount Zion. In those circumstances, the idea of the birth of Messiah, based on the coming of Christ_the Saviour_ would bring the Jews back to Palestine and save them from persecution and humiliation. The Jews lived all those centuries with that mythical prophecy, which ended with their return thanks to the Persian Emperor Cyrus the Great. During the Second Diaspora period, and the Roman era, the myth was resurrected. The ancient Babylonian prophecy was quoted. The Jews were once again in the process of waiting for the Saviour who would bring them back to the land of Zion. It continued until the nineteenth century, where voices emerged among Jews calling for the embodiment of the Zionist dream. The process was not based on dependence and waiting for the divine will, but on finding the appropriate means, depending on themselves and on the internal Jewish abilities. The movement led by a group of Jewish intellectuals and political activists, ended by the transformation of a myth into a project, and of a sense into an organization, as well as, of a religious prophecy into a universal movement. They all laid out plans, foundations, and means to carry out the alleged divine promise to return the Jews to the Promised Land _the land of Zion.

key words : Zionism ; Jews ; Palestine ; myth ; Promised Land ; Diaspora ; Savior ; Christ ; Babylonian captivity ; Messiah ; Emperor Cyrus ; Roman era ; land of Zion ; Holy City ; Mount Zion ; prophets ; organization ; prophecy ; nineteenth century ; Daniel ; Isaia ; Ezekiel ; Zechariah.

مقدمة: كان قيام دولة الكيان اليهودي، واغتصاب أرض فلسطين من أهم ما ميز القرن العشرين من أحداث، وجاء ذلك نتيجة مباشرة لظهور ما سمي بالمنظمة الصهيونية العالمية، والتي نفذت مشروعا سياسيا واقتصاديا استعماريا بحتا، مثّل لليهود تجسيدا لنبوءة قديمة وحلم عتيق بالعودة إلى أرض الميعاد، التي اضطرتهم سياقات معينة للخروج منها حسب مزاعمهم الكثيرة، ودفعوا للانتظار طويلا قبل أن يروه يتحقق على يد الحركة التي خرجت من تضافر كثير من العوامل من داخل المنظومة اليهودية ومن محيطها السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ولم يكن إخراج هذا المشروع، الذي اصطلح عليه بإنشاء الوطن القومي لليهود، للوجود سهلا، بل عمدت الصهيونية لإنجاز عمل كبير يرتكز على جعل اليهود ينتقلون من بقاع العالم إلى فلسطين، وفي سبيل إقناعهم بذلك، كانت هناك جهودا كثيرة قد سبقت، ركزت على نشر عقيدة الارتباط بالأرض المقدسة، وجعل كل يهودي يتشرب فكرة العودة لأورشليم ولجبل صهيون، هاته الفكرة التي ولدت مع بداية تاريخ النفي والسبي، وترعرعت عبر قرون من التهميش والاضطهاد، وجدت طريقها لتحيى من جديد مع بزوغ نجم نخبة يهودية جديدة في القرن التاسع عشر، تبنت العقيدة الصهيونية ووظفت من جديد دور المدينة المقدسة وجبل صهيون، كمحركين كبيرين خلف غرس فكرة قيام الأمة اليهودية على أرض الوطن القومي المزعوم.

فالصهيونية ارتبطت ارتباطا وثيقا بمدينة القدس، ومنذ ظهرت قبل أكثر من ألفي سنة وهي تتغذى في المخيال اليهودي، على المكانة المفترضة لتلك المدينة في قلوب اليهود، والتعلق بها إحدى أهم الأساطير التي بنت عليها الحركة الصهيونية السياسية وجودها، ودوافعها في قيادة اليهود نحو مشروعها الديني القومي، فما هي جذور العقيدة الصهيونية؟ وما علاقتها بمدينة القدس؟ وما أسباب انبعاثها حديثا؟ وكيف تحولت من معتقد ديني إلى منظمة عالمية ثم إلى مشروع سياسي ؟

1- جذور العقيدة الصهيونية: الصهيونية ركن أساسي في النسق الديني الإسرائيلي، وشعور ملازم لليهود، يعبر عن الحنين للعودة إلى أرض صهيون وإلى المملكة الغابرة، ولد مع التشريد الأول، أو ما يعرف تاريخيا بالأسر البابلي الذي وقع سنة 586 ق م، تحت تأثير الأسر والقمع والنفي، بالحديث عن الخلاص والترويج لبشائر نزول المخلص الذي

سيفتتح أورشليم بالسيف[1]، وتطورت الفكرة عبر مراحل التاريخ، فخلال الحقبة البابلية وما تلاها من عهود التغريب تشكّل كثير من التراث الديني اليهودي الذي يعلي من مكانة جبل صهيون والقدس ويؤصل لفكرة العودة الحتمية [2].

فقد اقترنت الصهيونية تاريخيا في التراث الديني اليهودي بحلم العودة لجبل صهيون والقدس[3]، كما ارتبط جبل صهيون ارتباطا وثيقا بالعقيدة اليهودية، كما يظهر في الإصحاح الثامن من سفر زكريا من العهد القديم: "هكذا قال الرب قد رجعت إلى صهيون وأسكن في وسط أورشليم، فتدعى أورشليم مدينة الحق، وجبل رب الجنود الجبل المقدس"[4]، وكما في الوعد الإلهي المزعوم من الله لإبراهيم في الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين: "أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة لكثيرين"، وكما في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: "في ذلك اليوم عقد الله ميثاقا مع أبرام قائلا: سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى نهر الكبير، نهر الفرات"[5].

وفي العهد الروماني وبعد التشريد الثاني الذي فرقهم عبر امتداد الإمبراطورية الرومانية، عاد حلم العودة يراود اليهود من جديد، فورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر الرسالة إلى العبرانيين، من العهد الجديد: "إنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار، ، بل أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي أورشليم"[6]، وكتب "فيلون" فيلسوف الإسكندرية اليهودي قائلا: "إن اليهود لكثرة عددهم لا تحويهم بقعة واحدة، ويتفرقون لطلب الرزق في أغنى البلاد من أوروبا وآسيا، وعلى أنهم ينظرون إلى أورشليم مقر هيكل الله المقدس كأنها حاضرتهم الكبرى، ويحسبون وطنا لهم كل أرض عاشوا فيها وعاش فيها آباؤهم وأجدادهم من قبلهم"[7].

وفي هذه الحقبة الرومانية ظهر مفهوم "المشيحانية"، الذي يشير للمسيح الذي ينزل في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا، وهي انعكاس واقتباس لفكرة المخلص نفسها التي ولدت في الفترة القديمة من التاريخ اليهودي، أثناء السبي البابلي، والتي بشر بها أنبياء يهود كثر منهم حزقيال وإشعياء وزكريا وإرميا وعاموس، مثل ما جاء في سفر حزقيال: "يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم"[8]، وكما في سفر زكريا: "ها أنا

أنقذ شعبي المنفي في أرض المشرق والمغرب، وأردهم إلى أورشليم ليسكنوا فيها ويكونون لي شعبا وأكون لهم إلها بالحق والعدل، وكما كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل فإنني أخلصكم فتصبحون بركة"[9].

وكان الخلاص خلال النفي الأول قد تم على يد قورش الفارسي، الذي أعادهم لفلسطين سنة 538 ق م، وإن كان لا شيء يربطه أصلا باليهودية[10]، رغم أنهم حاولوا أن يضفوا عليه القداسة والتعظيم حين وضعوه في مرتبة أنبياء العهد القديم، جراء ذلك التصرف: "هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما"[11]، ورغم أنهم كفروا بالمسيح الحقيقي لما بعث بينهم ورفضوا تعاليمه[12]، لكن لا يجهل أن التلمود وكثير من النصوص التي تنسب للعهد القديم هي محض أراء وأقوال الحاخامات، ضمنت عبر التاريخ كنصوص أصلية، لخدمة أغراض وتوجهات محددة.

والعودة لفلسطين تتغذى أيضا في مخيال المتدينين اليهود، بارتباط ذلك بصحة التعاليم الدينية، فكل الطقوس اليهودية لا تكتسب معناها الكامل إلا وسط بيئتها الأصلية على أرض فلسطين، وعلى الهيكل المزعوم في أورشليم، ولذا عمل الأحبار ومن صاغوا المرجعية الإسرائيلية طيلة قرون على جعل العودة ركن مقدس في الدين اليهودي، رغم أن الشواهد تقول أن سيناء هي مهبط التوراة ومنشأ اليهودية [13].

2- انبعاث الحركة الصهيونية: رغم امتداد جذور الصهيونية وقدم تأصيل العودة عند اليهود، لكن المشروع وتاريخ تنفيذه ظل مربوطا بالمشيئة الإلهية، وبقي ذلك المفهوم مسيطرا طيلة زمن الشتات الذي امتد لألفي سنة، لا يتجاوز شعورهم فيه نحو بيت المقدس حد الحنين إلى مجد قديم وانتظار الوقت الإلهي الموعود[14]، حتى تبلورت الحركة الصهيونية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر[15]، والتي أعلنت التمرد على "سلبية اليهودية الحاخامية وخنوع الشخصية اليهودية"، وخالفت صميم العقيدة العبرانية وابتدعت نهجا جديدا يبتعد عن العقيدة الميتافيزيقية المتكلة المنتظرة، ونحت نحو طريق جديد لتجسيد النبؤات والأساطير القديمة[16]، ولم تنتظر أن تجلب العودة إلى فلسطين معجزة، ولكن رغبت في إعداد الطريق بجهودها الخاصة [17].

فلقد طرأت خلال القرن التاسع عشر كثير من الأحداث على اليهود، كان لها دور في انبعاث فكرة الوطن القومي لليهود، من أهمها انتشار فكرة القومية عبر كامل أوروبا،

عندما سعت كل الشعوب لتختص بوطن لها، مما أثار هذا المسعى لدى اليهود أيضا، تحت وطأة الرفض الذي قوبل به اليهود في هذه الأوطان واعتبراهم كعنصر أجنبي عن القوميات الناشئة [18].

وجاءت مسألة القومية وإشكالية "الهوية" أيضا كإحدى نتائج ظهور حركة التنوير اليهودية "الهسكالا" [19] بين صفوف اليهود في أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر، والتي دعت لدمج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها وتحريرهم من سطوة الحاخامات وفصل الدين عن العرقية اليهودية [20]، لكنها جوبهت برفض شديد من قبل المتدينين اليهود، بل أدت لظهور حركة مضادة تمثلت في حركة القومية اليهودية التي تسعى لتجسيد حلم العودة، والتي ستمزج بين الأفكار الدينية القديمة والبراغماتية السياسية والوسائل العلمانية الحديثة [21].

وقبل صعود الفكرة خلال القرن التاسع عشر ونضوجها، فقد سجل التاريخ أن "شبتاي زفي"(1626- 1676) الذي عاش في ظل الدولة العثمانية [22]، هو باعث فكرة الوطن القومي الحديثة، ومحيي أسطورة الصهيونية التاريخية والعودة لأرض الميعاد، فهو أول من دعا إلى إعادة بناء الهيكل في القدس، وإلى خلع ثوب الذل والانحطاط والسعي لاكتساب مكانة لليهود بين الأمم، ودعا لتكوين لجنة تمثل اليهود في خمسة عشر بلدا، وتتخذ كل الإجراءات لتنفيذ هذا المشروع، وعلى اليهود جميعا قبولها والخضوع لها، وحدد فلسطين وجزء من مصر كهدف لمشروعه هذا، وطالب اليهود بعدم ادخار أي وسيلة والتضحية في سبيل هذه الغاية، حتى الرجوع لأرض الميعاد والعيش في ظل شرائع اليهود الخاصة، لكنه تراجع عن هذا الطرح تحت تأثير ردع السلطات العثمانية [23].

وبعد قرنين من الزمن، عادت دعوى استرجاع الأرض المقدسة لتظهر من جديد على يد الحاخام "يهودا القلعي"[24] (1798-1878) المولود في البوسنة، فوضع تصوره للمشروع الواجب إتباعه للوصول لهذا الهدف سنة 1843، عبر عقد جمعية عامة تجمع يهود العالم، وإنشاء صندوق قومي لشراء الأراضي وصندوق لجمع المال بفرض الضرائب على جميع اليهود، ونصح بأن تكون عودة اليهود لفلسطين تدريجية حتى يتم تهيئة الأجواء وإعداد الأرض، ودعا القلعي لضرورة إنشاء مجلس لكبار اليهود وفرض طاعته على الجميع [25].

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

وسار على نفس هذا الطريق الحاخام "زفي هيرش كالشير" (1795- 1874)، الذي عاش في بولونيا وألّف سنة 1862، كتابه "السعي لصهيون" (DRISHOT TZIYON)، وأهم ما جاء فيه الدعوة المباشرة للاستيطان في فلسطين[26]، وترسيخ هذا الاستيطان بإقامة مشاريع زراعية، وجعل خلاص اليهود في الاعتماد على النفس وفي الجهد البشري وليس في انتظار أي مخلص، كما قال: "إن بداية الخلاص سوف تأتي عن طريق أسباب طبيعية نتيجة للجهد الإنساني وعن طريق إرادة الحكومات لجمع شمل إسرائيل المبعثرة، في الأراضي المقدسة"، ولهذا حث على إنشاء منظمة تتولى عملية توطين اليهود، وقام بخطوات عملية بالاعتماد على أثرياء يهود من فرنسا وألمانيا فأنشأ أول مستثمرة فلاحية في فلسطين سنة1864 [27].

وبعد هؤلاء جاء "موسى هس" (1812- 1875)، الألماني الجنسية والذي بدأ حياته يساريا مقربا من كارل ماركس، وبعد فشل ثورة 1848، تحول للتأثر بالفكر القومي الإيطالي[28]، ونشر كتابه "روما والقدس" سنة 1862، ويعتبر هذا الكتاب الأساس الفلسفي للصهيونية[29]، والذي يقر بحق اليهود في وطن قومي مثل ما للإيطاليين الحق في وطن[30]، ويرى أنه ليس بإمكان اليهود تحقيق رسالتهم إلا بنهضتهم القومية على أرض الميعاد [31].

ودعا المثقف اليهودي "ديفيد غرودون" (1856- 1922)، عبر صحيفته، إلى شراء الأراضي في فلسطين والاستيطان فيها، وعلى نهجه مشى "بيرتس سمولينسك" (1842- 1885) الذي طالب بإقامة منظمة يهودية عالمية من أجل إيجاد حل للمشكلة اليهودية، بتمكين اليهود من الهجرة إلى فلسطين، لتجنيبهم الإبادة التي يتعرضون لها في كل مكان، ومن أجل أن يتمكنوا من إحياء ثقافتهم ولغتهم، ثم جاء "موشي ليف ليلينبلوم"، الذي بدأ من دعاة الاندماج اليهودي في المجتمعات المضيفة ثم تحول عن ذلك، وكتب كتابا سنة 1884 عن ضرورة هجرة اليهود لفلسطين أرض الأجداد، وحذر من الهجرة إلى أمريكا أو أي بلد آخر، ووضع أمام اليهود ثلاث خيرات: البقاء تحت الذل والمعانات أو التخلي عن اليهودية أو الهجرة لفلسطين [32].

ويعتبر اليهودي الروسي البولندي "يهودا ليف بينسكر" (1821- 1891) من أشهر الكتاب اليهود الذين أصّلوا لطرح الهجرة والوطن القومي لليهود، بعد أن كان هو الآخر من دعاة الاندماج في المجتمع الروسي، لكن بعد صدمة المجازر التي حصلت سنة 1882 في

روسيا ضد اليهود عقب مقتل القيصر، تغيرت أفكاره كليا، وكتب كتابه الشهير "الانعتاق الذاتي"، والذي اعتبر فيه اليهود شعبا متميزا وغير قابل للذوبان في أي شعب آخر، وتحدث عن كره اليهود المستشري بالوراثة بين مختلف الشعوب، والذي لن يزول إلا إذا كان لليهود مكان خاص بهم للممارسة حياتهم، لكنه لم يصر على اختيار فلسطين كشرط لإقامة هذا الوطن القومي، لكنه أضحى رئيسا لجمعية "أحباء صهيون" التي نظمت أول حملة استيطانية في فلسطين [33].

وكان المفكر اليهودي "أليعزر بن يهودا"، من أشد المتحمسين لهجرة اليهود إلى فلسطين، وأصر على التمسك باللغة العبرية، وعمل على نشرها وحث اليهود على استعمالها في نشاطاتهم اليومية، على اعتبار أن اليهود قومية، وذلك يعني البلاد واللغة والثقافة، وجسد أفكاره بالهجرة إلى فلسطين والتزام الحديث بالعبرية [34].

وتعد جمعيات أحباء صهيون أحد أهم الإرهاصات السياسية التي وفرت قاعدة حقيقية للمنظمة الصهيونية العالمية لاحقا[35]، في شرق أوروبا خاصة، وقد أسس الحاخام "صموئيل موهيلفر"(1824 - 1898)، أول جمعية لأحباء صهيون سنة 1882، ثم توالت فروعها في الظهور والانتشار، لينتخب المفكر الصهيوني "ليو بنسكر" رئيسا لها سنة 1884، وبدأت في دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين وتشجيع الهجرة وإقامة المستوطنات، وتمكنت من إطلاق موجة الهجرة الأولى في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وإنشاء المستعمرات الصهيونية الأولى في فلسطين: "بتاح تكفا، وريشون لازيون، وروش بيناه، وزخرون يعقوب، والجديرة"، وكان معظم المهاجرين اليهود من روسيا وبولندة، ولم تنجح هذه الجمعيات ذات الطابع الديني في تشكيل منظمة عالمية متماسكة، لكن مثّل 260 فرعا منها انضمت للصهيونية غداة تأسيسها، عنصرا أساسيا في قيامها ووفرت دفعة هائلة للمشروع الصهيوني.[36]

3- تأثير ظهور المسيحية المتهودة في ظهور الحركة الصهيونية: مع ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر في مستهل القرن السادس عشر ميلادي، طرأت تغيرات جذرية على المنظومة الدينية المسيحية في أوروبا، وتمخض ذلك عن حدوث انشقاق داخل الكنيسة الغربية، وخرج للوجود المذهب البروتستانتي[37]، الذي أعاد الاعتبار لليهودية

وللعهد القديم، بل نزع عن كاهل اليهود وزر دم المسيح، مما جعل المذهب الجديد يتشبع بكثير من العقائد الدينية العبرانية الصرفة، بل أصبح نسخة معدلة من اليهودية [38].

وكان من إنجازات مارتن لوثر؛ أن جعل العقيدة الإنجيلية الجديدة، تقوم وترتكز على ثلاثة مبادئ من صميم التراث الإسرائيلي: - أن اليهود هم شعب الله المختار – وجود ميثاق إلهي أبدي يربط اليهود بالأرض المقدسة فلسطين، - ربط الإيمان بعودة المسيح بقيام دولة صهيون، وإعادة تجميع اليهود في فلسطين [39].

عادت الحياة من جديد للنص التوراتي ودبت فيه الروح بفضل ذلك الإصلاح الديني، فتمت ترجمته للغات الأوربية الحديثة، وحدث ترابط بين الكنيسة الغربية الجديدة وبين العبرانية، فتبدلت النظرة نحو اليهود، واستلهمت العصور الحديثة بعضا من نبوءات التوراة وأساطيرها، وعلى رأسها عقيدة نزول المسيح المخلص، والتي تعني عودة اليهود لفلسطين وتجسيد وعد الله المنتظر [40].

وازدادت قيمة اللغة العبرية في ظل حركة الإصلاح الديني باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس، فلابد للمؤمنين، حتى يتسنى لهم فهم كلام الله على الوجه المناسب، معرفة اللغة الأصلية التي كتب به، فكان من نتائج ذلك أن انكب العلماء والمصلحون على دراسة اللغة العبرية وتعلمها [41].

ومع بداية انتشار البروتستانتية في أوروبا ووصولها لمرتبة التأثير السياسي خاصة في بريطانيا، باتت قضية مساعدة اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين، نوعا من العبادة ومساهمة في واجب ديني وتنفيذا للإرادة الإلهية[42]، وبدأت تظهر أصوات تطالب بمساعدة اليهود للعودة لفلسطين، ابتدأها عالما اللاهوت "جوانا وألينزر كارترايت" سنة 1649 حين طالبا بأن يقوم الشعب الإنجليزي بإعادة أبناء إسرائيل إلى الأرض التي وعد الله بها[43]، والتي اعتبرت أول محاولة بشرية للتدخل في الأمر الإلهي القاضي بعودة اليهود لفلسطين [44].

وتبنت حركة التطهريون (البيوريتان) البريطانية، كليا الفكر الصهيوني اليهودي، ودفع ذلك أحد قادتها "أوليفر كرومويل"، حين أمسك بزمام السلطة، ليسمح بعودة اليهود لبريطانيا، بعد أن حرموا منها على عهد "الملك إدوارد"، وقد قام كرومويل بربط سياسة بريطانيا بكثير من مصالح اليهود، وأظهر حماسا لفكرة عودة اليهود لأرض الميعاد،

وباتت أفكار المسيحية المتهودة هي من توجه قناعات الحكومات في كل الدول البروتستانتية مثل ألمانيا وبريطانيا وهولندا [45].

وكما توضح إحدى المؤرخات المتخصصات في هذا الشأن: "لقد أصبح في أيامنا هذه تقريبا من المستحيل أن نقدر بإنصاف دور الدين في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الماضي، نحن لا نستطيع أن نحكم على دور الدين لأننا نفتقده، ، وإذا كانت انجلترا في القرن العشرين تتولى إعادة إسرائيل إلى فلسطين، فذلك لأن المحرك الرئيسي للقرن التاسع عشر في مجمله هو الدين"[46].

وقد كان من نتائج تهود الكنيسة البروتستانتية وتسرب العقائد العبرانية إلى المجتمع المسيحي، ظهور نخبة مسيحية متصهينة خاصة في المجتمع البريطاني، يمكن أن نذكر منها: جورج جاولر(1796-1869)، وإدوارد متفورد، وتشارلز تشرشل(1807-1869)، وبنيامين دزرائيلي، واللورد شافتسبري(1801-1885)، واللورد بالمرستون(1784-1865)، وليوبولد أميري، واللورد ميلنر، والميجور أورمبسي غور، وهربرت ساید، وروبرت سيسيل، وجيمس بلفور ولويد جورج وغيرهم كثير[47].

وقد تمكنت الطبقة السياسية الإنجيلية المتصهينة من الوصول لقمة التأثير خلال العقدين الأولين من القرن العشرين، وجاء وعد بلفور كثمرة للمرحلة الحاسمة من التعاون الصهيوني البريطاني، وليبرز بوضوح سياسة الغرب وبريطانيا اتجاه اليهود وفلسطين، وجاء لويد جورج وآرثر بلفور ليتوجا جيلا كاملا من المتأثرين بالصهيونية من غير اليهود، المؤيدين لأهداف الصهيونية في فلسطين، الذين كانوا من ذوي التأثير في الحياة العامة وفي الحكومة [48].

وقد تأسست دولة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص وعميق على الفكر البروتستانتي الطهوري الذي يتصل اتصالا وثيقا بالعهد القديم، ومنذ تأسيس أولى المستوطنات على يد البيوريتان كان المستوطنون يشبهون أنفسهم بالقبائل الإسرائيلية ويطلقون على مدنهم وبلداتهم أسماء كتابية من قصص بني إسرائيل، فأمريكا حسب كثير من الكتاب والمفكرين الأمريكيين هي إسرائيل هذا العصر[49].

وقد ساعد تشابه الظروف التي أحاطت باضطهاد البيوريتان في أوربا، وكذلك هجرتهم بحثا عن أرض ميعاد جديدة، بتلك التي عرفها اليهود في تاريخهم، في نشوء تقارب

كبير وإحساس بالمصير المشترك بين الطرفين الإنجيلي والصهيوني، وهكذا فإن خطاب المهاجرين الأمريكيين ومن خَلفَهم، يدل على الاعتقاد بأنهم "القلة المختارة" التي تمثّلت طريق بني إسرائيل، ولهذا كثير من المدن الأمريكية أسماؤها عبرانية خالصة[50]، وحتى مذهبا مستحدثا ظهر فقط في هذه الفترة في أمريكا وهو مذهب المورمون، لم يتوانى في اقتباس نهجه من الأساطير الإسرائيلية[51].

ووفق هذا التفسير يمكن تبرير وقوع بريطانيا والولايات المتحدة في شباك الصهيونية، وإدراك سبب كثير مما بذلته الدولتان لصالح المشروع الصهيوني، فذلك لم يكن من قبيل الاجتهاد السياسي، بل كان تصرفا دينيا بالأساس، يصنف العمل على قيام دولة إسرائيل في مرتبة الطقس المقدس، ولهذا اجتهد كثير من السياسيين البريطانيين والأمريكيين، خلال القرن التاسع عشر والعشرين، من أجل تحقيق مشروع أرض الميعاد، ونادوا بضرورة تهجير اليهود لفلسطين[52]، وهذا أحد الأسباب المهمة التي جعلت الحركة الصهيونية تملك الجرأة على الظهور وإعلان مطالبها، وتسخير القوى الغربية الكبرى كوسيلة رئيسية في تجسيد عملية التوطين وإقامة دولتهم المزعومة، فالصهيونية الحديثة مدينة للبروتستانتية بوجودها.[53]

4- من الحركة الصهيونية إلى المنظمة الصهيونية: وجاء الوقت الذي تستخلص فيه كل تلك التجارب، ويتحول التنظير إلى حقائق، وتنتقل الأفكار إلى التجسيد العملي، وتجتمع فكرة إيجاد وطن قومي لليهود مع أسطورة العودة لأرض الميعاد مع المصالح الامبريالية الغربية، فاقتبس المفكر اليهودي النمساوي "نيثان بيرنباوم" في أبريل1890، عبر مجلة "الإنعتاق الذاتي"، مصطلح الصهيونية ليصبح عنوانا للمشروع وينقل من التاريخ إلى الواقع، وشرح معناه في خطاب بتاريخ 6 نوفمبر 1891 قال فيه: "إن الصهيونية هي إقامة منظمة تضم الحزب القومي السياسي بالإضافة إلى الحزب ذي التوجه العملي (أحباء صهيون) الموجود حاليا"[54]، وجاء أول مؤتمر للصهيونية في بازل، ليجسد تحول الصهيونية من معتقد ديني وحركة فكرية إلى منظمة تسعى لإقامة دولة قومية لليهود والتي وصفها هرتزل قائلا: "إن الفكرة التي طورتها في هذا الكتيب فكرة موغلة في القدم، هي فكرة استعادة الدولة اليهودية"[55]، وكما يذكر المسيري: أسست المنظمة الصهيونية العالمية سنة 1897 في المؤتمر الصهيوني الأول، وأطلق عليها بداية المنظمة الصهيونية،

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

وعدل الاسم لاحقا سنة 1960 ليصبح المنظمة الصهيونية العالمية، وعرفت المنظمة عند تأسيسها بأنها الإطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بازل، وحملت المنظمة مهمة تحقيق الأهداف الصهيونية وعلى رأسها إقامة وطن قومي لليهود [56].

فقد طرحت المنظمة الصهيونية نفسها كحل شامل للمسألة اليهودية التاريخية، بإيجاد واجهة سياسية لليهود، تسعى لتخليصهم من الواقع المزري، وانتشالهم من المعاناة، وتوفير جهة تتصدى لمن يقمعهم ويهمشهم: "إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود، وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها" [57].

ولأنها جوبهت بمعارضة كبيرة من التيار المتدين المحافظ فقد سارعت لتبني نفس مطالب اليهود القديمة وهي العودة المقدسة، لكن بالاعتماد على الوسائل السياسية والاعتماد على النفس دون انتظار المخلص، كما يصف هرتزل: "إن المشروع الذي أطرحه فإنه ينطوي على توظيف قوة دافعة موجودة بالفعل، وسوف أقتصر على الإشارة إلى التروس والعجلات الخاصة بالآلة التي نريد بناؤها وسوف أعتمد على المهندسين المهرة في تركيبها أكثر من اعتمادي على نفسي" [58].

هذه القوة الدافعة كما قال هرتزل هي البؤس الذي يعيش فيه اليهود، والاضطهاد الذي لا يتوقف في حق اليهود[59]، لكن أيضا الروح اليهودية القومية، التي اعتمدت المخزون التاريخي والتراث الديني العبري الذي يرتبط بشكل كبير بالأرض المقدسة، والموروث الداخلي عن أرض الميعاد[60]، فالصهيونية الجديدة، نمت جزئيا من الدوافع الداخلية لليهودية نفسها، انطلاقا من حماسة اليهود المتعلمين لتاريخهم، ومن فخر مستيقظ بصفاتهم العرقية، وطموح قديم[61] وأكثر من هذا فالمنظمة الصهيونية وحدها من ستوفر الوسائل المناسبة لتحقيق هذا الطموح الموغل في التاريخ [62].

ورغم حرص آباء المنظمة الصهيونية على ربطها بالديانة اليهودية، لكن يذهب كثيرون إلى أنها مجرد مشروع استعماري بحت، استغل الأسطورة القوية (العودة)، ليحقق أهدافا سياسية امبريالية، التقت فيها مصالح العديد من الأطراف، فهو كما يقول "روجيه غارودي" لا يخفي علمانيته ولا حقيقته الاستعمارية [63].

وهي في تصور المسيري، تعود إلى مركب من الأسباب التاريخية والحضارية والفكرية، لعل أهمها هو ظهور الامبريالية كرؤية معرفية وحركة سياسية اكتسحت العالم بأسره

وحولته نظريا وفعليا إلى مادة لا قداسة لها توظَّف في خدمة الشعوب الغربية، وبناء على هذا التصور يعرف المسيري الصهيونية بشكل مبدئي: "أنها حركة داخل التشكيل السياسي والحضاري الغربي تنظر لليهود باعتبارهم فائضا بشريا، وسيتم نقل هذا الفائض لتوظيفه كعنصر استيطاني قتالي يقوم على خدمة المصالح الغربية، ويحظى بالرعاية الغربية"[64].

وإلى هذا الطرح يذهب أيضا مصطفى العقاد في كتابه "الصهيونية العالمية" : "أما فكرة الوطن القومي فلم تنشأ قبل عصر النهضات الوطنية، ولم يسمع فيه صوت لليهود إلا لأن هذا العصر كان كذلك عصر الصناعة الكبرى والاستعمار، فلا يخفى أن الاستعمار قد بدأ بالتجارة، وأن طريق الهند كان أهم الطريق التجارية في العالم القديم، ومن ثم كثر الاهتمام بفلسطين ومصر، وارتفع في المجامع الدولية صوت اليهود لاتصالهم في وقت واحد بالتجارة وبهذه البلاد واشتبكت مسألة القروض بمطامع المستعمرين في أقطار الدولة العثمانية، فلم ينظر الأوربيون إلى مطالب اليهود كأنها مطالب منفصلة تعنيهم وحدهم ويغارون عليهم من أجلهم، ولكنهم جعلوها من الوسائل المعول عليها في خدمة السياسة والاستعمار"[65]، وربما في هذا السياق يفهم كلام مؤسس الصهيونية الرسمي تيودور هرتزل: "إن الدولة اليهودية ضرورية للعالم ولذلك سوف تقوم"[66].

يعتبر تيودور هرتزل(1860-1904) الأب الفعلي والمؤسس الرسمي للمنظمة الصهيونية، وهو يهودي مجري نمساوي، بدأ حياته مؤيدا لحركة "هسكالا" التنويرية[67]، وعاملا على دمج اليهود في مجتمعاتهم الأوروبية[68] وتحول لاحقا ليصدر كتابه "الدولة اليهودية" ويضع مشروع قيام كيان استيطاني في فلسطين، ورغم علمانيته وابتعاده كليا عن اليهودية[69]، فهو أول من ربط التنظير بالعمل، وخطا أولى الخطوات الفعّالة باتجاه تجسيد حلم الوطن القومي، وهو أول من أوجد الآليات الواضحة والعملية والجادة نحو تحقيق وتجسيد الاستيطان اليهودي في فلسطين[70].

ويعد كتاب هرتزل "الدولة اليهودية" مشروع مخطط متكامل لقيام دولة اليهود القومية، ومحصلة استفادت من كل التجارب السابقة، وقد أخذ بعين الاعتبار حقيقة الوضع الدولي، وأدرك الطرق الصحيحة والوسائل المناسبة لتحقيق الحلم اليهودي، فكما يقول: "إذا أردنا اليوم أن نقيم دولة فلن نقيمها بنفس الطريقة التي كانت هي الإمكانية

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الوحيدة منذ ألف سنة، إنه من الغباء الرجوع إلى المراحل الحضارية السابقة كما يريد كثير من الصهاينة أن يفعلوا"[71]، "إنا أطلب من المثقفين الذين أخاطبهم أن يضعوا جانبا كثيرا من الآراء التي كونوها في الماضي، بل إنني أذهب أبعد من ذلك لأطلب من أولئك اليهود الذين حاولوا ما في وسعهم حل المشكلة اليهودية أن ينظروا إلى محاولاتهم السابقة على أنها خطأ ولا فائدة منها"[72].

وقد بذل هرتزل جهدا ليثبت إن إقامة الدولة الجديدة ليس أمرا يدعو للسخرية ولا هو مستحيل، مؤكدا أن الخطة قد تبدو بطبيعة الحال غير معقولة إذا حاول معالجتها شخص بمفرده، ولكن إذا سخر في سبيلها عدد من اليهود المتعاونين فقد تبدو معقولة تماما، مبينا أن نجاح الفكرة يعتمد فقط على عدد مؤيديها.

وناقش هرتزل في كتابه الخيارات المطروحة أمام اليهود لإقامة الوطن القومي لليهود، وفاضل بين اختيار فلسطين والأرجنتين؛ فالأرجنتين من أكثر بلاد العالم خصوبة، وهي تمتد على مساحات شاسعة وفيها عدد قليل من السكان، ومناخها معتدل، وجمهورية الأرجنتين سوف تحصل على مكاسب كبيرة إذا تنازلت للمنظمة الصهيونية عن قطعة من أراضيها، ولعل بداية تسلل اليهود إليها قد آثار ردود فعل مستاءة، وبات من الضروري توضيح المساعي لدى حكومتها، أما فلسطين فإنها وطن اليهود التاريخي الذي لا تمحى ذكراه، بالإضافة أنّ اسم فلسطين في حد ذاته سيكون أداة جذب فعالة لليهود، فإذا منح السلطان العثماني فلسطين للصهاينة، ستأخذ المنظمة على عاتقها بالمقابل تنظيم مالية تركيا [73]، فيظهر من البداية أن الهدف الأول كان فلسطين.

وعلى أساس طروحاته التي بثها في كتابه المذكور، دعا هرتزل لعقد مؤتمر جامع تتويجا لمرحلة طويلة من الأفكار والإرهاصات والتيه، ولوضع أرضية واقعية لبداية تجسيد مشروع الدولة القومية لليهود[74]، وفي أغسطس 1897 عقد أول مؤتمر عام لليهود في مدينة بازل السويسرية، برئاسة تيودور هرتزل نفسه، وتم فيه تأسيس المنظمة الصهيونية، وقد حدد هرتزل في الخطاب الافتتاحي أن هدف المؤتمر هو وضع حجر الأساس لوطن قومي لليهود [75].

وشدد هرتزل على أهمية الاستعمار الاستيطاني لأرض الميعاد، وتهجير اليهود إليها[76]، فأساس المشروع الصهيوني يقوم على الاستعمار الاستيطاني كما توضح إحدى رسائله

اللاحقة إلى سيسيل رودوس: "لماذا أتوجه إليك؟ لأنه مشروع استعماري، وأطلب منك أن تعطي المشروع الصهيوني كل الثقل"[77]، وخلال هذا المؤتمر أكد هرتزل أنه لا يمكن حل المسألة اليهودية من خلال التوطين البطيء القائم على التسلل من دون اتفاق سابق وضمانات دولية واعتراف قانوني بفكرة الوطن القومي من قبل الدول الكبرى، وحدد المؤتمر ثلاثة أساليب مترابطة لتحقيق الهدف الصهيوني، وهي: تنمية استيطان فلسطين بالعمال الزراعيين، وتقوية الوعي القومي اليهودي والثقافة اليهودية، وأخيرا اتخاذ إجراءات تمهيدية للحصول على الموافقة الدولية[78].

وقد تعرض المؤتمر بالدراسة لأوضاع اليهود الذين هاجروا من قبل تسللا إلى فلسطين منذ 1882، واقترح أحد قادة المؤتمر "شابيرا" إنشاء صندوق لشراء الأراضي الفلسطينية، لتحقيق الاستيطان اليهودي، وهو الاقتراح الذي تجسد لاحقا فيما سمي الصندوق القومي اليهودي، رغم اعتراض هرتزل عليه، وفي هذا المؤتمر تم وضع مسودة البرنامج الصهيوني الذي عرف ببرنامج بازل، كما ظهرت الدعوات لإحياء اللغة العبرية وتدريسها بين المستوطنين.[79]

5- مشروع الدولة اليهودية: انتخبت المنظمة الصهيونية كهيئة رسمية تمثل الحركة الصهيونية، فحسب هرتزل: هي المدير الأعظم لليهود، وسوف تتألف من أفضل رجالهم وأكثرهم استقامة، وهؤلاء لا ينبغي أن يحصلوا على أي منفعة مادية من عضويتهم للمنظمة، ورغم أن هذه المنظمة لن تملك بداية إلا السلطة المعنوية فإن هذا يكفي لخلق الثقة في عيون الأمة[80].

وستكون المنظمة الناطق باسم اليهود والصهيونية في سعيها مع الدول الاستعمارية الكبرى، من أجل الحصول على فلسطين وإقامة الدولة القومية فيها، وستعطى الصلاحية للتباحث مع الحكومات باسم الشعب اليهودي، وسوف تعترف الحكومات بالجمعية باعتبارها سلطة لإقامة الدولة[81]، وستكون أيضا وسيلة لتنظيم العلاقة بين ممولي الاستيطان والمستوطنين، فقد نقلت النشاط الصهيوني من مرحلة العمل الفوضوي الفردي الحماسي إلى العمل المنظم المدروس المتابع[82].

وكان تصور هرتزل يقوم على خطة بسيطة في تصميمها معقدة في تنفيذها، سوف تقوم المنظمة اليهودية بالأعمال التمهيدية سياسيا، ثم تقوم الشركة اليهودية فيما بعد

بتطبيقها عمليا، سوف تنظر الشركة اليهودية في تحقيق المصالح المالية لليهود الراحلين، وسوف تنظم الاقتصاد والتجارة في الدولة الجديدة [83].

إن حجر الزاوية في هذا المخطط هو الشركة اليهودية أو الوكالة اليهودية، والتي ستعمل تحت إمرة المنظمة الصهيونية، ولن تعتمد الشركة على أي مجموعة جزافية من الممولين، بل ستدقق المنظمة في اختيارها وقرارها، ولن تمنح موافقتها حتى تتأكد من توفر ضمانات كافية للقيام بالمشروع على أحسن وجه، إنها لن تسمح بالتجارب بوسائل غير كافية، لأن هذا المشروع لا بد له أن ينجح من أول محاولة، فأي فشل في البداية سيضع الفكرة كلها موضع الشك لأجيال قادمة، وقد يجعل تحقيقها أمرا مستحيلا إلى الأبد [84].

ولضمان تمويل المشروع الصهيوني حدد هرتزل ثلاث مصادر للحصول على رأس المال المطلوب:

من خلال البنوك الكبيرة، والمقصود هنا كبار الرأسماليين اليهود، وهو طريق مختصر يوفر الوقت، وبالرغم من توفر هؤلاء في الوسط اليهودي بكثرة وهم من يمثل الركيزة التي يقوم عليها المشروع السياسي، لكن يتطلب الأمر أولا إقناعهم بالمشروع ككل، فحتى الساعة هذه القوة المالية لم توظف في خدمة أغلبية اليهود الفقراء المضطهدين، ويجب أن توضع في خدمة الفكرة القومية، ولن يكون تمويل هؤلاء الرأسماليين للمشروع من باب الإحسان، بل من باب الاستثمار التجاري الذي يحظى بفرص نجاح محتملة ويعود بفائدة كبيرة عليهم، وستكون المنظمة اليهودية هي الضامن في ذلك.

وهناك طريقة أخرى لتوفير المال، تعتمد على مناشدة اليهود متوسطي الغنى، وعلى البنوك الصغيرة التي يتوجب عليها الاتحاد باسم الفكرة القومية، ولكن هذه الطريقة بطيئة وتحتاج للممولين كثر، مما يحتم انتظار سنوات طويلة قد ينسى معها الهدف الأصلي، وتدخل قضية الهجرة اليهودية عالم النسيان.

والوسيلة الثالثة: تكمن تأسيس شركة على الاكتتاب القومي دون وساطة، بالاعتماد على الاكتتاب من جانب الجماهير، وليس فقراء اليهود فحسب، ولكن أيضا المسيحيين الذين يريدون أن يتخلصوا من اليهود، ويمكن أن يقام استفتاء على المشروع اليهودي، ويشترط على كل من صوت بنعم أن يقوم بالاكتتاب بمبلغ معين، ويدفع المبلغ فقط في

حالة الوصول لنصاب محدد، وإلا ترد المدفوعات الأولية لأصحابها، وكل هذا يحتاج المساعدة من الحكومات المعنية [85].

ومن أجل الإشراف على عملية جمع المال وتوظيفه؛ عملت المنظمة الصهيونية على إنشاء عدد من المؤسسات المالية لتمويل المشروع الصهيوني، كان من أهمها صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار، وهو بنك صهيوني تم تأسيسه سنة 1899، وقد أشار "سوكولوف"، أحد زعماء الحركة الصهيونية ومؤرخها، أن هذا البنك قد أسس على نمط شركة الهند الشرقية، وفي العام 1903 أنشأ الصندوق فروعا مصرفية في هولندا وفرنسا، وتحول لاحقا للبنك البريطاني الفلسطيني، ثم عرف منذ سنة 1951 بإسم " بنك ليثومي ليسرائيل" [86].

وفي سنة 1901، أسست المنظمة الصندوق القومي اليهودي (كيرين كايميت) بهدف توفير الأموال لشراء الأراضي في فلسطين ونص القانون الأساسي لهذا الصندوق على اعتبار الأراضي التي يشتريها ملكية أبدية للشعب اليهودي لا يجوز بيعها أو التفريط فيها، وتماشيا مع الهدف المالي، نمت المنظمة الصهيونية سريعا خلال سنواتها الأولى، فمع انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عام 1903، بلغ عدد الجمعيات الصهيونية 1572، موزعة على مختلف البلدان [87].

لقد كان الهدف الرئيسي من تأسيس "الوكالة اليهودية" هو الحصول على الأرض، فمهمتها كما حدد هرتزل؛ استعمارية خالصة، وسوف تؤسس هاته الهيئة كشركة مساهمة خاضعة للقانون الإنجليزي، وتحت حماية إنجلترا، وسيكون مركزها لندن، ورأس مالها خاضع لقدرة الممولين، وستكون ذات صفة مرحلية، ويجب التمييز بينها وبين المنظمة الصهيونية، كما أنها ستضطلع بمهمتين رئيستين: متابعة وتصريف مصالح وممتلكات المهاجرين التي يخلفونها ورائهم، وتيسير الهجرة إلى فلسطين [88].

إن الوكالة تحتاج إلى مساحات كبيرة من الأرض للوفاء بحاجياتها، وهذه المساحات يجب حيازاتها عن طريق الشراء المركزي، ويجب أن تفرض الشركة كلمتها في الناحية المالية، فلا ينبغي أن تشتري الأراضي أكثر من ثمنها الحقيقي، ولا تبيع ممتلكات اليهود التي يخلفونها ورائهم بأقل من ثمنها المفترض، وسوف تقوم الشركة ببيع قطع الأراضي بثمن أرخص لموظفيها مكافئة على دورهم ومخاطرتهم [89].

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

وسيكون على العمال الذين يناط بهم انجاز الأعمال القاعدية، والذين سيأتون من مصدرين كبيرين هما روسيا ورومانيا، أن يساعدوا بعضهم في بناء منازلهم، وهاته المساكن ستبنى على نفقة الشركة، ولن تكون مثل ثكنات العمال الكئيبة في المدن الأوروبية، ولا كتلك الصفوف التعيسة من الأكواخ المحيطة بالمصانع، ورغم أن الشركة ينبغي أن تبني بتكاليف رخيصة حيثما توفرت مواد البناء على نطاق واسع، ورغم أن تلك المنازل ستكون ذات مظهر واحد، لكن ستبنى منفصلة بعضها عن بعض وستزود بحدائق صغيرة، وسوف تتوحد في مجموعات جذابة في كل منطقة، وسيشعر السكان بالارتياح في مجموعات منازلهم غير المتلاصقة، وسوف يكون في استطاعتهم رؤية المعبد من مسافات طويلة، فالمعبد هو عقيدتنا التليدة التي جمعتنا معا [90].

وستكون هناك مدارس للأطفال مضيئة جذابة وصحية، ستدار على أحدث النظم المعتمدة، وسيكون هناك مدارس للعمال تعلمهم المعارف التكنولوجية المتقدمة، وتجعلهم على دراية تامة بعمل الماكينات، وسيكون هناك أماكن للتسلية، وسوف يكون المجتمع اليهودي مسؤولا عن إدارتها إدارة سليمة [91].

وهناك أنواع أخرى عدا مساكن العمال التي سيبنونها بأنفسهم، فمهندسي الشركة سيبنون للطبقات الأفقر من المواطنين، سواء الذين يتلقون أجورهم أشياء عينية أو نقودا، أنواعا عديدة من المساكن ذات طرز بديعة، وستكون هذه المنازل جزء من دعايتنا، وسوف تضمن الشركة سلامة الإنشاءات، وسيتم بيعها بأسعار محددة غير ربحية، أما أغنياء اليهود فلهم أن يعيدوا بناء قصورهم، التي يحسدون عليها في أوروبا، في المستوطنات الجديدة، وسينعمون بها في سلام هناك [92].

وبخصوص هجرة اليهود لفلسطين فهي مشكلة حاسمة في الخطة الكلية كما يصف هرتزل: "فحتى لو نجحنا في طرح موضوع القضية اليهودية عالميا بجدية، وحتى لو استجاب العالم، وساعدت القوى الكبرى في الحصول على أرض لتحقيق المشروع، فكيف يمكن أن ننقل جماهير اليهود دون إكراه من أوطانهم الحالية إلى الوطن الجديد؟" [93].

إن حركة كبرى كهذه من المنطقي أن تسبب كثير من المشاعر العميقة الحتمية، فاليهود مرتبطون بالأوطان التي يقيمون فيها، وهذه الهجرة والتخلي عن كل شيء، بالنسبة

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

لشعب يقدس التملك هي تضحية كبيرة وباهضة، ولكن لا مفر من هذا الطريق، فسوف يجد اليهود فرصا أفضل في الوطن الجديد، ولن تكون هذه عملية جر بلا رحمة خارج الأرض التي تؤويهم، ولكن في الحقيقية هي عملية استزراع لهم بعناية في أرض أفضل وبها فرص أكثر [94].

وهناك عوامل ستساعد في مضي مشروع التهجير، فأعداء السامية سيفورون القوة الدافعة اللازمة لقيام هذه الحركة؟ فيجب أن يقوموا فقط بما فعلوه من قبل من اضطهاد، ومن ثمة سيخلقون الرغبة في الهجرة حتى لو لم تكن موجودة، وإنّ اليهود الموجودون في الدول المعادية للسامية يتعرضون لذلك أساسا، والدولة اليهودية إذا نشأت سوف تجتذب على الفور موجات عظيمة من الشعب اليهودي، فالفقراء الذين ليس لديهم ما يفقدونه سوف يفدون إلى هناك، ويوضح هرتزل: "إنني أزعم أن الضغوط الواقعة علينا تثير فينا الرغبة في الهجرة، حتى بين الطبقات الموسرة في المجتمع، إن طبقاتنا الفقيرة وحدها تكفي لإقامة دولة، فهؤلاء يشكلون أقوى العناصر البشرية القادرة على حيازة الأرض، لأن قليلا من اليأس لا غنى عنه للقيام بالإنجازات الكبرى"[95].

ثم يشرع هرتزل في تقديم رؤيته للكيفية التي ستتم بها هذه الهجرة: لن يكون رحيل اليهود مفاجئا، وإنما سيكون رحيلا تدريجيا ومتواصلا على مدى عقود من الزمان، سيرحل بداية الأكثر فقرا بهدف استصلاح الأرض وزراعتها، تحت رعاية المنظمة والوكالة اليهوديتين، وهؤلاء سينشؤون البنية التحتية من طرق وجسور وسكك حديدية وتلغراف، وسيستغلون الأنهار ويقومون ببناء المساكن، وسينتج عن تجمعهم هناك التجارة والأسواق[96]، وسيؤدي هذا لجعل الأرض أكثر جاذبية وتصبح مكانا برّاقا للاستيطان لأناس أيسر حالا، وستشعر طبقات أعلى بإغراء الذهاب إلى هناك [97].

وسوف يجتمع في تلك الأرض كل اليهود الفارين من الاضطهاد والباحثين عن فرص عمل، والكثير من أبناء الطبقة الوسطى من المحامين والأطباء والفنيين ورجال الأعمال الشباب، الذين لم تساعدهم الظروف للنجاح في بلادهم الحالية، ليجدوا ذلك النجاح في أرض مليئة بالوعود المواتية [98].

ومن أجل تيسير الهجرة، فستكون تلك الهجرة في جماعات من الأسر والأصدقاء، ولن يجبر إنسان على الالتحاق بمجموعة معينة تنتمي إلى مكان إقامته، فكل واحد

سيتمكن من الارتحال بالطريقة التي يختارها، حينما تتهيأ ظروفه للرحيل، وستكون هناك مساواة في الدرجات بالقطار أو السفينة، حتى يسود الشعور بالعدل والمؤاخاة، وسيكون هناك حرص على توفير أجواء المرح والترفيه خلال تلك الرحلات [99].

وبالنسبة للمجتمع الجديد الناشئ، فكل مجموعة محلية ستتشكل حول حاخامها الذي سافر معها كقائد روحي، وهؤلاء الحاخامات سيتلقون الأخبار المنتظمة من المنظمة والشركة، وسيوصلونها لرعاياهم ويشرحونها لهم، وسوف تعين المجموعات لجانا صغيرة من الرجال تحت رئاسة الحاخام، لمناقشة وإقرار الشؤون المحلية [100].

وسوف يأخذ برأي ممثلي المجموعات المحلية في اختيار المدن، وسيراعى العدل عند توزيع الأراضي، مع الأخذ بعين الاعتبار الحقوق المكتسبة، وسيكون لدى المجموعات المحلية مخططات للمدن بحيث يستطيعوا أن يعرفوا مسبقا إلى أي مدينة سيتوجهون؟ وفي أي المنازل سيعيشون؟ إن مبدأ إدارتنا هو المركزية الصارمة للحكم الذاتي للمجموعات المحلية، وبهذه الطريقة ستتم الهجرة بسلاسة وبقدر قليل من المعاناة [101].

خاتمة: رغم ارتباط مصطلح الصهيونية في الأذهان بالمشروع الذي ظهر مع تيودور هرتزل سنة 1897، والذي عرف تأسيس المنظمة العالمية التي تسعى لإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين، لكن الصهيونية كمفهوم رافقت اليهود منذ حادثة الأسر البابلي، حيث مثلت الحنين الدائم لهم للعودة إلى مدينة القدس وإلى جبل صهيون المجاور لها، رغم أنهم في تلك الحقبة لم يبذلوا أدنى جهد نحو هذا المعتقد، بل كان تصورهم أن تحقيق هذا راجع لمشيئة الله وحده ولتفاصيل القدر.

لكن خلال القرن التاسع عشر بدأت تظهر أصوات عديدة تطالب بعد الاستسلام لسلبية الانتظار والعمل على تحقيق المشروع الحلم بالجهد اليهودي الذاتي، وساهم في هذا مفكرين يهود تأثروا بظهور أفكار القوميات الأوروبية الحديثة وبأفكار التحرر والإنسانية، كما تأثروا أيضا بما يعانيه اليهود من اضطهاد وتهميش وتمييز في الأماكن التي يعيشون فيها، فسعى أولئك لوضع تصورات تحث على توحد اليهود وإنشاء كيان قومي جامع لهم، وتوج مؤتمر بازل سنة 1897 كل تلك الجهود والتصورات التاريخية، وحوّل الحركة الصهيونية الفكرية إلى منظمة سياسية فعالة، وهو المؤتمر الذي جاء ثمرة لأفكار

ردمد EISSN 2600–6324 ISSN 2170–1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

ومشروع تيودور هرتزل عن الدولة اليهودية، والذي عماده تسخير طاقات اليهود المالية السياسية للحصول على فلسطين، وتهجير اليهود إليها وتوطينهم فيها.

ومن أجل تنفيذ المشروع بنجاح، وضع هرتزل ومعه النخبة الفكرية والسياسية اليهودية خطة متكاملة تقوم، أولا: على إقناع القوى الكبرى بإعطائهم فلسطين لتكون موئلا لمشروعهم، وثانيا: بتوفير الدعم المالي للحصول على الأراضي بها، وثالثا: إيجاد السبل لدفع اليهود للهجرة لفلسطين، ولزرعهم بنجاح فيها، وهو ما تم فعليا على أرض الواقع، ونتج عنه ما يعرف اليوم بدولة الكيان الصهيوني.

الهوامش:

1- عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية، مؤسسة هنداوي للثقافة والعلوم، القاهرة، 2013، ص8.

2- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، بيروت، 1999، ج6، ص 89/عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، جذوره ومساره وأزمته، ط01. دار الشروق، القاهرة، 2001، صص 03- 04.

3- القس إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993، صص 18، 19.

4- الإصحاح 08، سفر زكريا، العهد القديم.--5- الإصحاح 12 و15، سفر التكوين، العهد القديم.

6- الإصحاح 12، الرسالة إلى العبرانين، العهد الجديد.--7- العقاد، مرجع سابق، ص، ص 8، 9.

8- الإصحاح 36، سفر حزقيال، العهد القديم.--9- الإصحاح 08، سفر زكريا، العهد القديم.

10- العقاد، مرجع سابق، ص 8.---11-محمد يونس هاشم، الدين والسياسة والنبوة- بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2009، صص 173- 176.

12- عصام موسى قنيبي، الصراع على الديار المقدسة، دار الطليعة، دمشق، دس، ص 18.

13- نفسه، ص 63.--14-العقاد، مرجع سابق، ص 14.--15-هاشم، مرجع سابق، ص 171.

16-المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 89.

-17Arthur Hertzberg, Zionist Idea: a historical analysis and reader, the jewish publication society, Philadelphia, 1997, p 242.

18-العقاد، مرجع سابق، ص: 15.--19-الهاسكالا: حركة نهضوية ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر بقيادة موشي مندلسون، تعني بالعبرية (الاستنارة)، وهي حركة تجديدية على أسس علمانية، نادت بالحرية الفكرية ودعت اليهود للتخلي عن التعصب والانفتاح على الثقافات المختلفة، وإلى التخلي عن كثير من التعاليم التلمودية التي تسيء للشعوب الأخرى وتقول بتفوق اليهود، المسيري، مرجع سابق، ج 03، ص- ص 75- 77.

-20Hertzberg, op-cit, p : 317.

21-نادية سعد الدين، مأزق الدولة اليهودية والصراع العربي الإسرائيلي، مجلة المستقبل العربي، العدد 424، حزيران 2014، ص 26.--22- لمعي، مرجع سابق، ص – ص 69- 71.--23- محسن محمد صالح، فلسطين- سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، مطبعة الفجر، كولا لمبور، 2002.، ص 101.--24- المسيري، مرجع سابق، ج 6، ص 94.

25- صالح، مرجع سابق، ص 101.---26- المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 94.--27- المسيري، مرجع سابق، ج06، ص 94. / أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى الحرب العالمية الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص- ص 52- 56.

28- صالح، مرجع سابق، ص 102.--29- المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 94.--30-العقاد، مرجع سابق، ص 15.

31- صالح، مرجع سابق، ص 102.-- 32-محمود، مرجع سابق، ص، ص 93، 94.

33- نفسه، ص- ص 77- 85./ محسن صالح، مرجع سابق، ص 102.-- 34-محمود، مرجع سابق، صص 95- 97.

35- المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 94.

36- صالح، مرجع سابق، ص102. / http://shamela.ws/browse.php/book-1075/page-299 استرجع بتاريخ 25 مارس 2018.

37- لمعي، مرجع سابق، ص67.

38- حميد حمد السعدون، البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، ص2. ----**39-محمد السماك، الصهيونية المسيحية، دار النفائس، بيروت، 2004، ص ، ص 34، 35.**

40- كريمة بلخضر، الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية، ماجستير، جامعة الجزائر 1، 2006، ص 137.

41- يوسف عاصي الطويل، البعد الديني لعلاقة أمريكا بالهود وإسرائيل، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، 2011، ص 33.

42- السعدون، مرجع سابق، ص2.----43-السماك، مرجع سابق، ص 39.--44-المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 138.

45- السماك، مرجع سابق، ص 42.

46- برابرا توخمان، الكتاب المقدس والسيف- إنجلترا وفلسطين منذ العصر البرونزي إلى بلفور، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 48.

47- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية – جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، صص162،176/توخمان مرجع سابق، صص40،39/محمود، مرجع سابق، صص17-21/

Pragai Michael: Faith and Fulfilment Christians and the Return to the promised land, Vallentine Mitchell and Company Limited, London, Great Britain, 1985, p : 22.

48- الشريف، مرجع سابق، ص 174.--49-فؤاد شعبان، من أجل صهيون، دار الفكر، 2003، صص13،82.

50- شعبان، مرجع سابق، ص: 87.--51-نفسه، صص89،99. ----52- نفسه، صص42 - 47.

53- الشريف، مرجع سابق، ص 165.--54-المسيري، مرجع سابق، ج6، ص 15.

55- تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، تر محمد فاضل، مكتبة دار الشروق الدولية، ص5.

56- المسيري، مرجع سابق، ج 6، ص323. ----57- هرتزل، مصدر سابق، ص05.--58- سعد الدين، مرجع سابق، ص 27.

59- نفسه. ----60- نفسه.

61Hertzberg, op-cit, p :242.

62- المسيري، مرجع سابق، ج 06، صص323 -327. ----63- روجيه غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002، صص32،33. ----**64-المسيري، مرجع سابق، ج6، صص89، 90.**

65- العقاد، مرجع سابق، ص 15.--66-هرتزل، مصدر سابق، ص 06.--67-صالح، مرجع سابق، ص 102.

68- العقاد، مرجع سابق، ص، ص15، 16.-- **69-غارودي، مرجع سابق، ص 33.--70- هرتزل، مصدر سابق.**

71- نفسه ، ص 22.--72- نفسه، ص 06.--73- نفسه، ص 23.--74- العقاد، مرجع سابق، ص 16.

75- المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص 98.

76- غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين- من الاستعمار إلى الامبريالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص16.

77- غارودي، مرجع سابق، ص 33.-- **78- المسيري، مرجع سابق، ج 06، ص98.** -- 79-نفسه، ص 98.

80- هرتزل، مصدر سابق، ص 37.--81-نفسه، ص 22.--82-المسيري، مرجع سابق، ج6، ص323.

83- هرتزل، مصدر سابق، ص 21.--84-نفسه، ص 33.--85-نفسه، ص، ص 38، 39.----86-المسيري، مرجع سابق، ج6، ص323. ----87- نفسه. ----88- هرتزل، مصدر سابق، ص25. ----89-نفسه، ص: 26.----90- نفسه، ص27. ----91- نفسه.

92- نفسه، صص31،32. --93- نفسه، ص44. --94- نفسه، ص41. --95- نفسه، ص45. --96- نفسه، صص21، 22.

97- نفسه، ص45. --98- نفسه، ص44. -- 99- نفسه، صص41،42. -- 100- نفسه، ص43. --101- نفسه، ص44.